المغرب الاقصى ولغتهُ

اكتسح العرب لهذا المغرب في غابر الزمان فانتزعوهُ من حوزة اهلهِ بعد ان قاتلوهم عليهِ ولما قضوا وطرهم وبلغوا قصدهم استوطنوا البلاد ونزلوا فيها على الرحب والسعة . ثم شرعوا في تشييد ملكهم وبناء قواعدهِ على مقتضى الكتاب والسنة وزاحموا الاهلين ودعوهم الى الدين وتعقبوا المخالفين الى قنن الجبال. وقد كان العرب وقتئذٍ اشد الناس ولعاً ببلغتهم واحرصهم على اشعارها وتقاليدها وارغبهم في تصانيفها فثابروا على حفظها وبالغوا في الاعتناء بها . ولما شيدت الحكومة دعائم ملكها جعلت العربية لغتها تباشر بها اعمالها وتخاطب بها عمالها وجعلت للعلماء المقام الاول بين رجالها تصلهم بصلات سنيَّة وتكافئهم على اجتهادهم وتجيزهم على مصنفاتهم تنشيطاً لهم للمثابرة على اعمالهم

ودعا العرب البربر للاسلام وكلفوا المؤمنين منهم تعلم القرآن وبعثوا اليهم الدعاة والفقهاء يعلمونهم قواعد الدين . فتعلم من البربر جماعة ونبغ بينهم العلماء والشعراء والرجال العظام والفوا باللغة العربية التآليف وصنفوا التصانيف

وكان للسلاطين ولوع بالعلوم وعناية بالعلماء يقربونهم اليهم وينزلونهم في مجالسهم منزلة عالية ويرفعون بعضهم على بعض في الدرجات . وكان الشعراء يتقاطرون على ابواب السلاطين وقصور الامراء ينشدونهم القصائد الرنانة ويحظون منهم بالخلع السنيَّة والمال الوافر. وكانت عندهم المواسم والاعياد تجتمع فيها الناس من جميع اطراف البلاد للبيع والشراء والمنافسة في الاشعار . قيل اناخ الدهر على سيد قوم فقصد السلطان في احد المواسم وانتظم في سلك العلماء ولما مثلوا بين يديهِ وقدموا واجب التهانىء والتبريك اخذوا مواضعهم حسب درجاتهم في العلوم ثم اخذوا في المذاكرة وانشاد الاشعار فانشد السيد . ان " الزمان الخ " بالخفض. فاعترضهُ السلطان قائلاً ولماذا خفضت الزمان مع وجوب نصبهِ قال والله لاخفضنَّهُ كما خفضني . فاستحسن جوابهُ ورفع مقامهُ واعطاهُ ما اصلح حالهُ . وكانت الناس تنظم الاشعار وتحفظها وترويها لاصحابها وكانت الخزائن مشحونة بالكتب النفيسة والتآليف الفريدة

ثم جاء زمن الفتن وعمّ الاضطراب فكسدت صناعة العلم واهمل شأن العلماء وضعفت همة المتعلمين وقلت رغبة الدارسين وتلاشت الدواوين ولم يبقَ في خزائن الكتب الاَّ العث والعنكبوت. واصبح العلماء كالكبريت الاحمر وانقرضت علوم شتَّى وتلاشت فنون القدماء. وصار الطب الى الدجالين والكيماء الى المشعوذين والرياضيات الى المنجمين والحكمة الى المتكهنين

والفلسفة الى المتفلسفين والسياسة الى النمامين والادارة الى المفسدين

هذه هي حالة هذا المغرب والآن ونحن في عصر التمدن والعلم والاجتهاد ليس في مغربنا مطابع ولا جرائد ولا مدارس ولا صنائع . وما يتحلونهُ من بعض العلوم فهو ملتقط من هنا وهناك بعد المشقة وطول العناء ولما لم تكن لهم معرفة باحوال هذا العالم وما هو عليهِ من التقدم ظنوا انهم في غنى عن كل شيء ولا تعوزهم حاجة ولا يبغون تغييرًا او تبديلاً

وصناعة الانشاء استمرت على نمطٍ واحد يتداولها الكتّاب جيلاً بعد جيلٍ وهذه صورة كتاب مرّ عليهِ من الزمان ما يزيد على مئة عام . الحمد لله وحده . من عبد الله المعتصم بالله المجاهد في سبيل الله امير المؤمنين عبد الملك بن امير المؤمنين ابي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسني ايّد الله امرهُ واعزّ نصرهُ واسعد زمانهُ المبارك وعصرهُ وابقى يمنهُ فخرهُ الى اخينا الاعز الاحظى بَبَّ احمد ابن مولانا الوالد حرس الله تعالى كريم اخائهِ سلام كريم ورحمة الله تعالى وبركاتهُ . اما بعد فانا كتبنا اليكم من محلتنا السعيدة بتأمسنا ولا زائد يحمد الله تعالى الاّ الخير والعافية والنعم الضافية هذا وانهُ ساعة وصولهِ اليكم تخرجوا من الخدم لعمالة مكناسة وازمور واولاد جلول من تفرض عليهم علف محلتنا المنصورة وتأمرهم بدفعهِ وابلاغهِ لمدينة سلا وقدر ذلك صحيفة شعير وعشرون مدًّا قمحًا لكل نائبة وصاع من سمن وكبش لكل اربع نوائب واكد عليهم رعاك الله ان يعنوا بذلك وبايصالهِ للمكان المذكور من غير عطلةٍ هذا ما وجب بهِ الاعلام اليكم والله يرعاكم بمنهِ والسلام

وهذه القاعدة لم تزل تستعمل حتى يومنا هذا ويتعلمها الكتاب من "كتانيش" الحكومة والجرائد المخزنية . ولما كانت المطابع معدومة من البلاد كانت صناعة النسخ رائجة والكتب الخطيّة هي المعول عليها حتى انهُ يسهل على المطالعين قراءتها اكثر من قراءة الكتب المطبوعة . والذين تاجروا بالكتب من المشرق خسروا بها لعدم اقبال الناس عليها ليس لغلاء اثمانها وانما لعدم معرفة الاهلين قراءتها . وليس من اختلاف بين اللغتين الشاميّة والمغربية الاّ ان حرف الفاء عند المغاربة ينقط من تحت والقاف نقطة واحدة . واما شكل الحروف الخطية فيختلف والمغربي اشبهُ بالكوفي . واهالي المغرب لا يستطيعون ان يقرأوا الكتابة الشامية

واعترى العلوم اللغوية ما اعترى غيرها من العلوم فاهملت اي اهمال وكسدت بضاعتها وقلّت صناعتها واصبحت وسائط التعليم معدومة وطرقها صعبة واذا توفرت لامرءٍ اسباب النجاح واحرز في خزانة عقلهِ قواعد اللغة لم يستطع تطبيقها والانتفاع بها ولا استفاد شيئًا من الشوارد والضوابط التي جمعها . وكثير من العلوم لا اثر لها ولا هم فيها يرغبون ولم يبقَ من

الرياضيات الاَّ بقية من علم الحساب يتداولها بعض الناس حسب القواعد القديمة وارقامهم عربية وهي المستعملة عند الافرنج

ولما حصل ما حصل من الاهمال في شأن اللغة العربية وزاحمتها لغات اخرى كالبربرية والافرنجية على اختلاف شعوبها والعبرانية على انتشار اهلها صار بعض التمازج في الكلام ووقع الاختلال في التراكيب فتغيرت المعاني عن حقيقة وضعها ودخل في لسان العامة الانتحال والنطق بالساكن والاشمام والجزم والترخيم والحقوا لفظة (شي) على آخر الافعال وادخلوا كافًا على صيغة المضارع مثل كنكتب وهو دلالة على الاستمرار . وابدلوا هاء الغائب واوًا مثل كتابو اي كتابهُ وذالهم دالاً وثاءهم تاء وفي بعض المواضع يحسنون النطق بهذين الحرفين . وليس عندهم في احاديثهم او معاملاتهم كلام التبجيل والتعظيم فلا يقال جنابك وحضرتك وسيادتك ولا بك ولا افندي ولا خواجا الاَّ لفظة سي . والوزير عندهم الفقيه فلان والباشا سي فلان ومعلم الاولاد الفقيه فلان والخبَّاز سي فلان

ولغة العامة تختلف باختلاف الاماكن لكنها لا تخرج عن كونها عربية وجميع كلماتها عربية الاصل الاَّ الاعجمي منها . ونحن نورد بعض الكلمات الشائعة التي تظهر غريبة عند اول نظرة من ذلك. بالزاف اي كثير . ياك للاستفهام اي ليس كذلك . وخا فيها خير . الّي الذي والتي . ديا لي الذي لي . داب الآن . مزيان حسن . للّة سيدة . دغيا حالاً . غاول اسرع . زاخيت فاذًا . ايّه نعم . إيوَه زد . باسل دنيء

وعندهم كثير من الامثال المتداولة نذكر بعضها . هدرة تجبد هدرة وكلام يجبد كلام. ايش تعيي الموت من الدار الخاوية . يا مزوّق من برّا ايش حالك من داخل . الزين على الدفلة والدفلة مرّة . المرأة بلا ولد يحال الخيمة بلا وتد . العقبة في وجه الاحباب حدورة . الّي بغى حاجتهُ يقضيها ببسط خدهُ عليها . من سبع وكلني وما تكن شي ديب وتمرمدني . ما عند القط موضع مشى جاب الجمل ضيف . الشرك في الطعام دليل على المحبة . الضيف ما يشرط شي ومولى الخيمة ما يفرط شي . الجنازة كبيرة والميت فار . عقل الحمارة براس ولدها

هذا ما رأيت ذكرهُ عن لغة هذه البلاد ويا حبذا لو بذلت حكومتها الهمَّة في استعمال الحروف المستعملة في مصر والشام حتى يسهل على اهاليها قراءة الكتب المطبوعة فيهما للاستفادة منها اسعد كرم